الفصل الأول

علم الدلالة الإدراكي

(البنية التصورية والبنية العصبية)

علم الدلالة الإدراكي
(البنية التصورية والبنية العصبية)

أولا: البنية التصورية:

يقول جاكندوف عن سبب تأليفه كتاب علم الدلالة العرفانية: "وسبب كل هذا النقاش تبرير قراري المنهجي أن أقتفي بدءاً نظرية عرفانية في صياغتها البنيوية، وذلك خلافاً لأغلب الممارسات الحالية في علم النفس والعلوم الحاسوبية، وسأبسط في محاولتي البحث في الطريقة التي بها نتكلم عما نراه، نظرية البنية التصورية ـ المعلومة التي تتقاسمها الصيغ اللغوية والبصرية ـ دون شديد اهتمام بكيفية المعالجة الحسابية؛ أي الموارد المتوفرة لحسابها وتخزينها أو كيفية تصرف الخلايا العصبية في تشفيرها. فأنا أعتقد أن نظرية قوية لبنية المعلومات حيويةٌ؛ ولا محيد عنها لبناء نظريات تعتمد صيغ الوصف الأخرى"[1].

هذا القول يبين الطريق الذي سلكه جاكندوف لبناء نظريته (نظرية البنية التصورية) التي تقوم علي تحليل المعلومة الآتية إليه من قِبَل الصيغ اللغوية والبصرية بعيداً عن المعالجة الحاسوبية التي سلكتها نظريات أخرى، أو المعالجة التي سارت عليها نظريات العصبية التي تقوم بتحليل عمل الخلايا العصبية ودور الناقلات العصبية في نقل المدركات إلى الدماغ لتفسيرها. وهو يشير أيضاً إلى أن هناك نظريات أخرى تستخدم صيغ الوصف لتحليل المعنى بطرق ومناهج مختلفة عن النظرية البنية التصورية ليبين خطورة المعنى؛ مما أديّ إلى كثرة النظريات التي تناولته بالدراسة والتحليل .

وهذا التحليل ـ وإن كانت له وجاهته ـ إلا أنه في حاجة إلى الجانب العصبي لتفسير عملية إنتاج اللغة، وكيفية استقبال المدركات الحسية من الوسط المحيط بالحواس الإدراكية المختلفة، ثم نقلها إلى الذهن لبناء المعنى فيه ومراحل عملية البناء، وتحديد دلالات كل قول يقال، إلى جانب اعتماد كلا المنهجين (التصوري والعصبي) علي جهاز استقبال واحد يستقبل المعلومة نفسها، فالمدخل واحد وهو المدارك الحسية والعقلية للإنسان، وكذلك المعلومة واحدة التي يستقبلها الذهن ويقوم المنهجان بتحليلها، وهي المعلومة التي تدخل عبر مداركه إلى ذهنه. وسأحاول هنا الفصل بين المنهجين لبيان دور كل منهما في بناء المعنى، وإنشاء تراكيب لغوية جديدة.

١. مفهوم البنية التصورية:

يقول جاكندوف: " لا بد من مستويات من المثيل الذهني تكون فيها المعلومة التي تؤديها اللغة منسجمة والمعلومة الآتية من الأنظمة المحيطة مثل الرؤية والسماع غير اللغوي والشم والشعور بالحركة، وهكذا. وإذا لم توجد مثل هذه المستويات يكون من المستحيل استعمال اللغة في الإخبار عن المدخلات الحسية، ولا نستطيع الحديث عما نرى أو نسمع[2].

أي لا بد لنا من مستوي في داخل أذهاننا يتم فيه تمثيل المعلومة التي تأتينا عبر اللغة منسجمة؛ أي متطابقة مع العالم الذي يحيط بنا ونصل إليه من خلال حواسنا، فإذا لم يوجد هذا الانسجام ـ كأن نشير إلى كتاب على الطاولة ونقول: هذا منزل ـ فتصبح المعلومة المنقولة إلينا عبر اللغة غير منسجمة مع الواقع الخارجي الذي نراه ببصرنا؛ لهذا قال تحت عنوان (فرضية البنية التصورية): " يوجد مستوى

(١) علم الدلالة العرفانية، راي جاكندوف، تر/ عبد الرزاق بنور، المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠١٠، ص٥٢.
(٢) المرجع السابق، ٦٨.

واحد من التمثيل الذهني هو البنية التصورية، وفيها تكون المعلومات اللغوية والحسية والحركية متساوقة ... وتكون فرضية البنية التصورية (ف. ب. ت) أمثلة (idealization) معقولة؛ وفي أحسن الأحوال هي فرضية قوية جامعة تهمُّ بنية الدماغ"[1].

هذه العبارة الأخيرة (تهمُّ بنية الدماغ) تُشير إلى ارتباط عملية البنية التصورية بمعمل كبير مركزي، هي الدماغ الذي تُصهر فيها كل تلك المعلومات؛ فالبنية التصورية كما يرى جاكندوف ثرية ثراءً في قدرتها التعبيرية كي تتناول كل الكائنات التي يمكن أن تعبر عنها اللغة، وتخزن في الذاكرة. لذا يجب الإفادة من علم الأعصاب عند دراسة البنية التصورية.

٢.١/ البنية التصورية ودورها في بناء الدلالة:

ما البنية التصورية؟ وما دورها في إدراك الأشياء؟ والتفاعل معها؛ ليتم التواصل بيننا؟ إنها المصنع الذي تُجمع فيه المادة الخام (المعلومات المتوفرة لدي الفرد عن الشيء) وتتفاعل معا في داخله لتقديم تقرير عنها للذهن، ولهذا يجب أن تكون البنية التصورية للفرد ثرية في:

(أ) قدرتها التعبيرية كي تتناول كل الكائنات والأشياء التي يمكن أن تعبر عنها اللغة .

(ب) القدرة التعبيرية كي تتناول طبيعة كل الصيغ التجريبية الأخرى .

كيف يُبنى المعني في الذهن ؟ هذا الأمر يدفعنا إلى البحث في مستوى أعمق في ذهن الفرد عن كيفية بناء المعنى في ذهنه، من خلال ذلك الإكراه العرفاني، وفرضية البنية التصورية، والتمثيل الذهني للأشياء، والأفكار وأثرهم في تكوين البنية الدلالة .

إن ما طرحه جاكندوف من تصور لمعنى الانسجام في التفاعل الحادث بين المعلومات الآتية من الأنظمة المحيطة مع النظام اللغوي؛ يبين حقيقة كبرى، هي كيف يُصنع المعنى في الذهن بما يُعرف بالتمثيل الذهني؟ من خلال مستوى واحد من التمثيل الذهني، وهو البنية التصورية ؟

يقول جاكندوف (إن البنية التصورية يمكن أن تكون مستوى أعمق من البنية الدلالية يرتبط بها بمكون قاعدة تسمى في الغالب التداولية، وهي تخصص علاقة المعنى اللغوي بالخطاب وبالخلفيات غير اللغوية"[2]. هذه وجهة نظر كاتز وفودور، وهي وجهة النظر التي تبناها جاكندوف؛ إذن هناك مستوى أعمق من المستوى الدلالي يُصنع فيه المعنى، هو البنية التصورية، وهذه البنية التصورية ترتبط بالبنية الدلالية من خلال مكون قاعدة هو القاعدة التداولية التي تقدم تقريرا عن المعنى اللغوي؛ متمثلا في الخطاب (كلام/ حوار/ نقاش/ جدال/...) + خلفية هذا الخطاب غير اللغوية؛ متمثلة في طبيعة العلاقة بين المتكلم والمخاطب، والوسط المحيط بالخطاب (البيئة الاجتماعية/ المكان/ الزمان) ، فهي تعتمد علي الخطاب وقصديته والعلاقات التداولية.

٣.١/ فرضية البنية التصورية:

صاغ كاتز وفودور تصورا لفرضية البنية التصورية، وقد تبنى جاكندوف هذه الفرضية، وهي فرضية تربط بين أركان عملية الإدراك اللغوي وبناء المعنى، فداخل عقل كل إنسان آلة عرفانية تضمن سلامة التكوين التصوري وسلامة التكوين الدلالي وسلامة التكوين النظمي، وهذه القواعد هي التي تؤدي إلى نجاح عملية الإدراك وفهم المعنى، كل عنصر من هذه العناصر مرتبط بالآخر، ويتعاون معه لتكوين هذا الفهم كما يلي:

---

(١) المرجع السابق، ٦٩.

(٢) علم الدلالة العرفانية، ٧١.

(أ) قواعد سلامة التكوين التصوري (ق . س . ت) :

أعمق من الأبنية الدلالية لأنها هي من يكونها، وترتبط هذه القواعد بالأبنية التصورية التي يصنعها كل من النظام الحركي، والنظام البصري، والتداولية القادمة من الأبنية الدلالية والمغذية لها؛ لتقدم لنا بنية تصورية حول الشيء، وتراجع صحة تكوينها بالذهن.

(ب) قواعد سلامة التكوين الدلالي (ق . س . ت) :

تلي ق. س. ت. التصورية في العمل، حيث تقوم بمراقبة وتكوين الأبنية الدلالية التي تغذيها قواعد التناسب بين الأبنية النظمية للغة والمعجم وقواعد الاستدلال اللغوي، كل هذه الأشياء تتعاون معا في تكوين الأبنية الدلالية، إنها تراقب صنع المعنى كتصور في الذهن

(ج) قواعد سلامة التكوين النظمي (ق . س . ت) :

تقوم هذه القواعد بمراقبة التكوين النظمي للغة من أصوات صحيحة وتراكيب وأبنية، فيشترك في تكوينها التمثيل الصوتي والمعجم والأبنية الدلالية عن طريق قواعد التناسب، أي صب المعنى في قوالب لغوية مكونة من أصوات وكلمات وجمل، ليحقق للمعنى وجودا لغويا.

إذن فالإنسان كي يتكلم بكلام مفهوم لا بد أن تشترك في إنتاجه والمراقبة على إنتاجه وسلامته هذه الأشياء المجتمعة والمترابطة معا في تدرج يبدأ بالبنية التصورية، يقول جاكندوف: " يمكن أن تكون البنية الدلالية مجموعة فرعية من الأبنية التصورية ـ وبديلا الأبنية التصورية التي يحصل التعبير عنها باللفظ فحسب" [1] أي أن البنية الدلالية تابعة للبنية التصورية، بل إن البنية التصورية هي من تصنع البنية الدلالية وتكونها، فهي فرع منها، فالدلالة التي نتواصل بها تنطلق من مستوى أعمق هو مستوى البنية التصورية الذي هو أساس إنتاج الأبنية الدلالية، وفي إطار دلالة الألفاظ البسيطة نكتفي بالبنية الدلالية.

هذا الأمر يجعلنا نهتم كثيراً بالبنية التصورية، ودورها في بناء البنية الدلالية، هذا المستوى هو المصنع الذي يتم فيه الربط بين المعارف والتجارب الفكرية والحسية والحركية والجمالية... الخ، والألفاظ التي تدل عليها من خلال بناء تصور ذهني عنها، يدخل ضمن بناء كبير في ذهن المتكلم؛ يجمع كل هذه الترابطات والعلاقات بين الدلالة؛ وما تشير إليه في مجموعة من التصورات الذهنية، يقوم هذا المصنع بإنتاج ما يسمى بالبنية التصورية حول هذه الألفاظ والأشياء التي تشير إليها الألفاظ، أي إنتاج البنية الدلالية [2]. إن البنية الدلالية ناتجة عن بنية أعمق (أي أسبق في العمل من البنية الدلالية) هي البنية التصورية التي تصنعها، فلكي نفهم البنية الدلالية بصورة صحيحة يجب أن نتابع تكوينها في البنية التصورية وعناصر بنائها أولا، وهذا هو عمل النظرية العرفانية الأساسي .

٤.١/ البنية التصورية وأوليات التأويل الدلالي (كيفية تكوين البنية التصورية بالذهن):

قال د. غاليم: "من المسائل الجوهرية في النظرية الدلالة التصورية تحديد منزلة المعنى والتمثيل له صورياً في مستوى البنية التصورية. والبنية التصورية مظهر من مظاهر التمثيلات المعرفية يقوم عليه الفكر لدى الإنسان... فهي جبرية (algebraic) مكونة من عناصر منفصلة.. إنها إحدى الأطر الذهنية التي تمكن من تخزين التجربة، والربط بينها وبين الذاكرة المرحلية (episodic) وخطط العمل المستقبلي، كما أنها القاعدة الصورية لعمليات التفكير المنطقي والاستكشافي على حد سواء، وهي

(١) علم الدلالة والعرفانية: ٧٢.

(٢) الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية: د عطية سليمان أحمد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ٢٠١٤، ص ٣٨.

نسق مركزي من أنساق الذهن، وهي ليست جزء من اللغة في حد ذاتها، بل هي البنية الذهنية التي ترمزها اللغة في صورة قابلة للتواصل ".

إن ما يبرر غنى البنية التصورية لا ينحصر في كونها مرتكز الدلالة اللغوية؛ بل هي أيضاً مرتكز الاستنتاج والارتباط بالإدراك والفعل غير اللغويين. لذلك يمكننا أن نجد دلائل على أن بعض أنماط البنيات التصورية لدى ذوات غير اللغوية كالرضع والرئيسات (pirmates) العليا؛ وهي أنماط التمثيل الذهني تستعمل للتفكير لا للتواصل.

تفترض الأبحاث المتعلقة باكتساب اللغة أن المتعلم يبني المعنى المقصود من القول اعتماداً على السياق، ويستعمله باعتباره جزءً جوهرياً في عملية البناء الداخلي لبنية القول المعجمية والنحوية... وبذلك تكون البنية التصورية سابقة، ابستمولوجيا، علي البنية اللغوية، سواء في ما يتعلق بمتعلم اللغة أو بمسألة التطور علي العموم "[1].

هذا القول للدكتور غاليم يتضمن عدة نقاط هي :

١ـ البنية التصورية: هي صورة ذهنية يكونها المتكلم عن المعنى بذهنه فهي بنية تصورية عصبية.

٢ـ البنية التصورية: هي صورة يستعين المتكلم في تكوينها بعناصر لغوية وغير لغوية.

٣ ـ البنية التصورية: ترتبط بعملية عقلية كبرى هي عملية الإدراك؛ التي تمدها بكل المدركات.

٤ـ البنية التصورية: سابقة في نشأتها بالذهن على البنية اللغوية، فالمتكلم يُكوِّن الصورة الذهنية للمعنى في ذهنه أولاً قبل أن يختار لها البنية اللغوية، وفي إطار ما يحدث عند اكتساب اللغة الذي مثل به غاليم؛ ومن خلال دراسة لي عن النمو اللغوي عند الطفل؛ تبين أن الطفل غير قادر على النطق باسم الشيء الذي يريده لذا يشير إليه، فإذا طُلِب منه أن يحضره فإنه يذهب فيحضره دون القدرة علي النطق باسمه، فقد كوّن صورة ذهنية له ربط فيها بين الصورة المادية للشيء واسمه، لذا فهو قادر على التعامل معه واستحضاره من بنيته التصورية دون أن ينطق باسمه، كذلك المخلوقات الأخرى نحو: الرئيسات المعقد كالقرود تُعِينُه البنية اللغوية علي استحضار الشيء من البنية التصورية [2].

٥ ـ البنية التصورية: تتكون لدى الفرد نتيجة لتجاربه الحياتية والسياقات الاجتماعية التي يوجد فيها، فتتكون كصورة ذهنية تمثل حقيقة المعنى، فالبنية التصورية لا تنحصر في الجانب اللغوي بل ترتبط بالاستنتاج والإدراك والفعل غير اللغويين، فهي عملية عقلية ترتبط في حقيقتها بعلم النفس وعمليات الإدراك المختلفة، لا بعلم اللغة وحده .

١.٥/ تفكيك الصورة الذهنية :

ويوضح د. غاليم أسس تفكيك الصورة الذهنية للمعنى حتى نفهمه قائلاً: ترتبط أوليات التأويل الدلالي أو بناء الدلالة في اللغات الطبيعية بمجموع أنساق السمات، أو المكونات التي يقوم عليها القالب الدلالي أو (البنية التصورية) وتلعب دورا مركزيا في تخصيص التصورات وأولياتها ومبادئ تأليفها" [3].

يقصد بذلك أننا في اللغات الطبيعية نبني المعنى من خلال عدة عناصر أو مجموعة من الأنساق (ويعني بها المحددات والأطر التي تبنى داخلها الصورة الذهنية أو التصور الذهني للشيء) يمكن أن

(١) النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة مبادئ وتحاليل جديدة: د. محمد غاليم، دار تبقال للنشر، ٢٠٠٧، المغرب، ص٣٣.
(٢) النمو اللغوي عند الطفل، د. عطية سليمان أحمد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط٢ ،٢٠١٤، ص٤٠.
(٣) النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة، ٣٤.

نتعرف عليها إذا قمنا بتفكيك المعنى، حيث نُرْجِع كل نسق إلى أصل تكوينه بالمرور بمراحل تكوينه، ولكن في الاتجاه المعاكس لعملية البناء والتكوين.

ثم يعطينا تصوراً عن كيفية تفكيك المعنى، ورده إلى أنساقه الأصلية قائلاً: يمكننا أن نجمل أهم السمات في قاعدة عامة لتكوين المقولات التصورية نحو:

١ـ حدث/ شيء/ مكان.....

٢ـ ورود / نمط

(كيان) ⟵ ٣ـ دالة (موضوع ١، موضوع ٢، .... موضوع ن)

٤ـ مج ، بد.

٥ ـ بع ، تج.

وهي قاعدة تفكك التصورات إلى أنساق فرعية مركزية من السمات هي تباعاً:

١ـ نسق المكونات التصورية: (كالحدث والشيء، والتمييز بين الورود والنمط).

٢ـ بنية الموضوعات (أو البنية الدالية).

٣ـ نسق سمات الحقول الدلالية (ح) .

٤ـ السمات الجهية المتعلقة بالمحدودية (مح) والبنية الداخلية (بد) والبعد (بع) والاتجاه (تج)"[١]، ويمكن للقاعدة التي وضعها د. غاليم أن تحلل أي مكون دلالي ومعرفته، . فما مفاتيح هذه الرموز؟

مفاتيح الرموز: كلمة "كيان" يعني بها أي كلمة ذات معنى؛ يمكن تفكيك معناها بتحليل مكوناته التصويرية وبنيته الدالية، وسمات الحقول الدلالية التي ينتمي إليها، والسمات الجهية المتعلقة بالاتجاه والمحدودية ورمزها (مح) والبنية الداخلية ورمزها (بد) والبعد الخاص به ورمزه (بع)، واتجاه ورمزه (تج) فعند تفكيك تصور ما إلى أنساقه الفرعية؛ أي تحليل معنى ما فإننا نقوم بتفكيك الصورة الذهنية له، وإعادته إلى الأنساق الفرعية المركزية التي كونته، عندها يمكننا ملاحظة دور هذه الأنساق في خلق المعنى وتمييزه عن غيره، بتحليله إلى مكوناته الأساسية.

مثال: يمكننا تطبيق عملية التفكيك هذه في تحليلنا للتراكيب الإضافية الآتية:

[... + شيطان] [٢] [...+ ملائكة] [...+ جن] نقوم:

أولا: عند تحليل المضاف إليه، فنجد أن كلمة: شيطان / ملاك / جن، توجه الذهن ناحية جنس يشمل كل المخلوقات الغيبية تماثل كل أجناس المخلوقات الحاضرة، فيسقط هذا في تصورات النمط، وليس في تصورات الورود، حيث لا نعين هنا أفراداً بعينها، إنما نعين جنساً شاملاً لكل أفراد الملائكة والشياطين والجن، ومن خلال تصورات النمط يمكن تصور النمط الذي يرسم في الذهن صورة هذا النمط؛ فيصبح لكل جنس نمط يمثله في الذهن:

١ـ شيطان ـ جن = تمثلان صورة نمط للشر بكل ألوانه أو المهارة في كل الأعمال.

٢ـ ملائكة = تمثل صورة نمط لكل خير وبركة وصالح الأعمال.

ويصبح هذا النمط ممثلاً لتلك الصورة الذهنية التي تكونت لدى كل أفراد المجتمع.

ثانيا: نقوم بوضع ما نشاء من كلمات مكان النقط السابقة، فنقول:

صديق الشيطان = يطلق علي كل إنسان شرير، وكل شيء مادي أو معنوي له هذه الصفة.

---

(١) النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة، ٣٤.

(٢) تمثل النقط مكان الاسم المضاف، وتمثل الكلمة التالية المضاف إليه: شيطان، ملائكة، جن .

صديق الملائكة = يطلق علي كل إنسان خيّر، أو فيه بركة.

مفهوم الإبداع الدلالي عند علماء المشرق :

مفهوم الإبداع /التوليد الدلالي لدى د. حسام البهنساوي :

يرى أ. د. حسام البهنساوي رأيا في هذه القضية؛ فهو يرى الإبداع الدلالي هو التوليد الدلالي؛ فهو يمزج بينهما دون أن يضع فاصلاً بين التوليد والإبداع في الدلالة، فكلاهما خلق لصورة دلالية جديدة فيقول تحت عنوان "**مفهوم التوليد الدلالي**": تعد سمة **الإبداع اللغوي**، هي أهم سمات اللغة الإنسانية وأظهرها، إذ يستطيع المتكلم الذي يمتلك الكفاءة اللغوية أو تلك القدرة اللغوية السليمة، من أن ينتج ويولد ويجدد في مستويات لغته المختلفة؛ الأصوات والأبنية والتراكيب والدلالة.

فالتوليد الدلالي: هو إبداع المتكلم لدلالات معجمية، وتراكيب دلالية جديدة، تختلف عن تلك الدلالة التي تفيدها الوحدة أو البنية المعجمية، المعروفة والمألوفة، بين أفراد الجماعة اللغوية، حيث يقوم أفراد هذه الجماعة.اللغوية، بتوليد معان جديدة، تحمل قيما دلالية جديدة، لأبنية معجمية.موجودة من قبل، استوجبتها سياقات ومقامات وظروف وملابسات لغوية، لم تكن تتحقق في مدلول البنية المعجمية قبل ذلك." [1] .

وحقاً ما قاله؛ فعملية التوليد هي عملية خلق لشيء لم يكن موجوداً من قبل، وإن استخدم هذا المولِّدِ موادَ بيئته (في اللغة نولد فيها بأن نخلق من ألفاظها)، وعملية الإبداع (كما سيأتي تفصيله في بابه بهذا الكتاب) هي خلق على غير نموذج؛ فنجد المبدع يفاجئنا بشيء جديد لم نتوقعه من قبل، فهذا هو الإبداع؛ وذاك هو التوليد وكلاهما خلق جديد على غير نموذج، وهي صفة وضعت في عقل الإنسان وحده، لهذا قال الحق سبحانه في سورة المؤمنين ﴿**فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ** (١٤)﴾ فهو خالق كل شيء؛ وسمح لخلقه أن يخلقوا، ولكن شتان بين خلق المخلوق؛ وخلق خالق؛ فنحن نخلق من مادة موجودة سلفاً هي من صُنْعه وخلقه، ولكنه سبحانه يخلق من عدم، وقد اخترت لكتابي من بين المصطلحين (التوليد والإبداع) اسم **الإبداع الدلالي** تيمناً باسم الخالق المبدع، الذي قال واصفاً نفسه في موضعين من كتابه العظيم ﴿**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ [2] فهو الخالق والمبدع فيما يخلق سبحانه.

ويفرق د. البهنساوي بين التوليد الدلالي والتوليد الصرفي واضعاً التوليد الدلالي والإبداع الدلالي في سلة واحدة قائلاً: "من المهم التفريق بين المقصود بالتوليد الدلالي وما يمثله من توليد وإبداع لدلالات ومعان جديدة للبنية المعجمية الموجودة، وبين التوليد الصرفي لأبنية والمفردات اللفظية، التي تثري الثروة اللفظية للغة، باستخدام هياكل بنائية جديدة، تحمل بدورها دلالات ومعاني جديدة كذلك التوليد الصرفي الناشئ عن عمليات الاشتقاق والتعريب والنحت والاقتراض وغيره" [3].

كذلك نجده يميز بين مستويين هما:

"١. مستوي التركيب الدلالي. ٢. مستوي العلاقات الدلالية المعجمية

...إذا كان التوليد الدلالي، يعد إبداعا لدلالات جديدة فإنه من الضروري إيجاد القواعد والقيود الملائمة، التي تضبط هذا الإبداع الدلالي وتحكمه [4] هذا يؤكد اقتناعه أن التوليد هو الإبداع.

---

(١) التوليد الدلالي، أ. د. حسام البهنساوي، مكتبة زهراء الشرق، ط١، ٢٠٠٣م، ص١٠.
(٢) سورة البقرة، ١١٧، وفي سورة الأنعام، ١٠١.
(٣) التوليد الدلالي، أ. د. حسام البهنساوي، ص١٠.
(٤) المرجع السابق، ١٠.

١.٦/ الصورة الذهنية " للجن والشياطين " في البنية التصورية لفكر القدماء:

١ـ يذكر الثعالبي حديثاً للجاحظ يصور لنا ما صورة هذه الكلمات في البنية التصورية لعقول القدماء "ليس من الناس من رأى شيطاناً قط على صورته، ولكن لمّا كان الله قد جعل في طبائع جميع الأمم استقباح صورة الشيطان، واستسماجه وكراهته، وأجرى هذا على ألسنة جميعهم، ضرب المثل به في ذلك؛ رجع بالإيحاش والتنفير وبالإخافة والتفزيع إلى ما جعله في طبائع الأولين والآخرين والشيوخ والصبيان والرجال والنساء"[١].

ويضيف الثعالبي إلى ما قاله الجاحظ: "وهذا التأويل أشبه من قول من زعم من المفسرين أن رءوس الشياطين نبات ينبت باليمن، وقول بعضهم: إن الشياطين هاهنا الحيات" [٢].

٢ـ يذكر الثعالبي قصة أخرى توضح هذا التصور عندهم؛ قال: سأل إبراهيم بن إسماعيل أبا عبيدة عن قوله تعالى: (طلعها كأنه رءوس الشياطين) وإنما يقع الوعد والإيعاد بما عرف مثله، وهذا لم يعرف، فقال أبو عبيدة: إنما كلمهم الله تعالى بما يعرفون، وعلى كلام العرب، أما سمعت قول امرئ القيس : **أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال**

وهم لم يروا الغول، ولكن لما كان أمر الغول يهولهم أُوعدوا به"[٣].

٣ ـ يذكر الثعالبي حديثا للجاحظ قال: "قال الجاحظ: إنا وإن كنا لم نر شيطاناً قط ولا صوره لنا صادق، ففي إجماع العرب والمسلمين وكل من لقيناه على ضرب المثل بقبح الشيطان دليل على أنه في الحقيقة أقبح من كل قبيح، والكتاب إنما نزل على الذين ثبت هذا في طبائعهم غاية الثبات، قال وربما قالوا: فلان شيطان على معنى الشهامة، والنفاذ لذلك قالوا لأبي حنيفة: شيطان خرج من البحر، قال الثعالبي: قلت في أبي الحسن اللحام: هو من شياطين الإنس ورياحين الأُنس"[٤]، هذا القول الذي نقلناه عن الثعالبي والجاحظ يصور لنا الصورة الذهنية للشيطان في البنية التصورية للقدماء، وماذا يعرفون عن الشيطان والجن كمخلوقات غيبية، ويمكن أن نخرج من هذا الحديث بعدة نقاط، هي:

١ـ أدرك القدماء الصورة الذهنية من خلال المعاني المجردة، حيث أدركوا أن الشيطان لا يُرى بالعين، ولكن له صورة ذهنية في عقول البشر ارتبطت بالشر والقبح، ويمكن تصور كيف نشأت عبارة مثل **"قبح الشيطان"** في أذهانهم ؟ وذلك من خلال الشكل الآتي:

المعنى المجرد(القبح) + الشيطان (بصورته الذهنية الشريرة) ⟵ (قبح شيطان)

٢ـ إجماع البشر على تلك الصورة وتوارثها عبر الأجيال وثباتها في أذهانهم، بل أصبحت ضمن طبائعهم، وبذلك نزل القرآن الكريم مصوراً لطبائعهم وما جُبلوا عليهم واستقر ضمن مخزونهم العقلي من الصورة الذهنية عن تلك المخلوقات الغيبية.

٣ـ إدراك القدماء أن الصورة الذهنية التي ظهرت لديهم عند ذكر هذه العبارة مرتبطة أصلاً بما استقر ورسخ في أذهان كل البشر عن الشيطان؛ وقد وظَّفها القرآن الكريم في وصفه لصورة شجر جهنم مستحضراً مخزونهم العقلي، وما في بنيتهم التصورية عنه.

٤ـ تطور دلالة كلمة شيطان من الدلالة على قمة الشر إلى الدلالة على البراعة في العمل أو المهارة بكل صورها، حدث ذلك نتيجة للتوافق بين المعنيين في سمة انتقائية هي البراعة.

---

(١) الحيوان للجاحظ، ٦/ ٢١٢، مصطفى الحلبي، ١٣٥٧.
(٢) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، الثعالبي، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف المصرية، ١٩٨٥، ص٧٧.
(٣) ثمار القلوب، ٧٨.
(٤) ثمار القلوب، ٧٤.

٥ـ تجسيد المعنوي المجرد في صورة مادية محسوسة؛ بتصوير الشيطان بإنسان له رأس، قال المفسرون: إن المقصود بالرأس نبات في اليمن وقالوا حيات، محاولين بذلك تجسيد المعنوي في صورة المادي المحسوس، وذلك لتقريبها إلى أذهانهم بما يوجد في مجتمعهم.

٦ـ انتشار هذه الصورة بين كل طبقات مجتمع الجاحظ والثعالبي، مما يدل على شيوعها.

١.٦.١/ كيف تتم عملية التفسير أو التأويل الدلالي ؟

إن تحول الصورة الذهنية للشيطان إلى واقع في شكل حيات أو شجر أو غير ذلك، هو محاولة تأويل وتفسير للصورة الذهنية، أي البنية التصورية لمعنى كلمة شيطان، وهو محاولة تفكيك البنية التصورية للمعنى بتأويلها بالواقع المحسوس، وهذا التفكيك مرتبط بالواقع المحيط بالبيئة الاجتماعية المصاحبة للحدث، فلا يمكننا أن نفكك الصورة الذهنية للشيطان بأن نصوره للإنسان العربي الذي عاش عمره في الصحراء بالدب القطبي مثلاً لأنه لم يره، لذا يجب أن يرتبط التفسير بالبيئة المصاحبة للحدث والقريبة من المتكلم وسامعه .

١.٧/ البنية التصورية والنمط النموذجي التاريخي:

عندما يرتبط المعنى بأشخاص لهم ماض تاريخي؛ فإنهم يتحولون إلى أنماط نموذجية لدى أجيال قريبة العهد بهم يعرفونهم ويُلِمُّون بتاريخهم؛ لأنهم ارتبطوا بأحداث تاريخية عُرفوا بها وسجلها التاريخ بأسمائهم، مما جعلهم يتحولون إلى نمط نموذجي سُجل في أذهان هؤلاء القوم، فأصبح لهم في البنية التصورية لهذا الجيل صورة ذهنية توجد في ذاكرتهم ضمن مخزونهم الثقافي والتاريخي يتمثلون بهم، فنجد اسم قارون يستحضر عندما نذكره من الذهن صورة الغنى المتكبر، واسم ثمود يستحضر صور القوم الذين قتلوا ناقة الله فاقترن اسم كل شخص من هؤلاء بالحدث التاريخي المعروف به، فتكوّنت صورة ذهنية ناتجة عن اقتران الشيئين معاً لتكون باباً لإبداع تراكيب مشابهة كما في هذا الشكل:

المركب الأصلي = شخص + شيء ما عُرف به = مركب إضافي يمثل صورتهما الذهنية.

فينتج عند ذكر المركب الإضافي استدعاء: الشخص + الحدث = (الصورة الذهنية).

مرحلة الإبداع = مركب إضافي قديم + موقف مشابه = المركب الإضافي القديم يحمل دلالة جديدة، فيصبح كل شخص في إطار المركب الإضافي عبارة عن نمط نموذجي لهذه الصفة، ويصبح مجرد ذكر الاسم فقط يتبعه استحضار للصفة المقترنة به، فنقول: فلان قارون فهو يساوي قولنا: فلان يتصف بالغنى الشديد والكبر مثل قارون الذي كان من قوم موسى، ويكفي أن نقول: كان جنودنا البواسل صاعقة عاد على الأعداء، لنستحضر شدة الهلاك الذي أنزلوه بأعدائهم.

لو حاولنا تطبيق هذا على ألفاظ تاريخية أخرى من كتاب الثعالبي مثل (ريح عاد ـ صاعقة ثمود ـ جور سدوم ـ صرح هامان ـ سد الإسكندر ـ كنوز قارون)، فسنجد كل عبارة تتكون من رأس الإضافة (المضاف) + المضاف إليه، المضاف لا علاقة له بالتاريخ، أما المضاف إليه فهو كوحدة معجمية تمثل في البنية الصورية للمتكلم تاريخاً ارتبطت به، هو تاريخ هؤلاء الأشخاص (عاد ـ ثمود...) محفور في ذاكرة المتكلم ضمن تاريخه وثقافته.

وعند نطق اسم أحدهم، فإن هذا يثير في البنية التصورية للمتكلم مجموعة من السمات الانتقائية الخاصة بـ (عاد ـ ثمود ...) التي تمكن آليات إبداعه من بناء دلالات جديدة من هذه الكلمات، فالأمر يتعلق بتحديد مجموعة لا متناهية من التصورات التي يمكن أن تتكون من هذه السمات المحددة، وفي

إطار ما تسمح به القوالب النحوية ـ كما في باب الإضافة الذي نحن بصدده ـ فإن كلمة قارون تحمل في البنية التصورية للمتكلم مجموعة من السمات الانتقائية المحددة، مثل الغنى الشديد ـ الكبر ـ عدم شكر الله على نعمه ـ تجاهل صاحب النعمة والفضل ـ وغيرها من السمات الانتقائية التي تثيرها هذه الكلمة، وما يمكن أن نستلهمه من هذه الوحدة المعجمية، وكذلك ما يمكن أن تثيره كلمة فرعون وعاد والإسكندر وثمود من سمات الانتقائية نتيجة لما لها في البنية التصورية للمتكلم من صورة ذهنية ذات ملامح مختلفة، تكونت بفعل ثقافته وتاريخه وتراثه وعادات مجتمعه وبيئته .

وتأتي الكلمة الأولى كلمة المضاف (رأس الإضافة) لتقيد غير المحدود من السمات بحدودها، فتجعلها قاصرة على تصور واحد، هو المقصود بالعبارة كما في: كنوز قارون التي حددت الصورة الذهنية المقصودة من العبارة، والسمات الانتقائية الخاصة بالتركيب، هي سمة كثرة المال فقط، لنترك باقي السمات التي ذكرتها من قبل كالتكبر وتجاهل المنعم.

ثم تأتي القدرة الإبداعية للكلمة لتوجه العبارة إلى دلالات جديدة في مجتمعنا المعاصر حين يستعيرها متكلم معاصر؛ فيطلقها على صديق له، قائلاً: فلان لديه كنوز قارون، فيستخدمها في موقف جديد معاصر بناء على رابط استعاري جديد مفاده استحضار حدث قديم لموقف جديد نتيجة للمشابهة ما بينهما بغرض المبالغة في صفة الغنى، فلا يوجد شخص معاصر لديه كنوز قارون مهما كان غنياً، فيصبح هذا الشخص (قارون) نمطاً نموذجياً لقمة الغنى في ذاكرة هذه الأمة، وفي بنيتها التصورية، قد رسمتْ له صورة ذهنية بذاكرتها .

إن هذا التحليل يعطينا تصوراً عن القدرة التوليدية للوحدة المعجمية بواسطة استخدام آلية تحليل السمات الانتقائية؛ مما يُنتج عدداً من التعابير الدلالية اللا متناهية.

يمكن ـ في إطار الجانب التطبيقي ـ أن نلاحظ دور البنية التصويرية في تحليل المركب الإضافي بصورة موسعة لبيان العلاقة الدلالية التي تربط بين المتضايفين والمعاني الجديدة التي يبدعها المتكلم من مركب اسمي، وبيان حفاوة القدماء بهذا المركب الاسمي وتأليف كتب خاصة به، وكيف تناولوه فيها بالتحليل والدراسة.

ثانياً: البنية العصبية (علاقة الإدراك بالبنية العصبية):

٢- تعريف العلم ومفهومه :

الدلالة الإدراكية (Cognitive Semantics) فرع من اللسانيات الإدراكية (Cognitive Linguistics) يهتم بالجانب العقلي والعمليات الذهنية والقدرات الإدراكية المساعدة في عملية تحليل الكلام وفهم فحواه، حيث تتصل اللسانيات الإدراكية باللسانيات النفسية وعلم النفس الإدراكي والذكاء الصناعي وفلسفة الذهن واللسانيات الذهنية والمهارات الإدراكية.

لقد انطلق هذا العلم من التحليل المفهومي والتصوري للأنظمة اللغوية المستعملة من خلال اعتماده علي التجارب التي يكتسبها البشر من العالم المحيط بهم، والرابط الخفي الذي يربط بين جميع القدرات العقلية الداخلية، مما يصنع قناة إدراكية تأويلية داخل العقل تربط بين الأشياء التي يدركها بتصوره وتخيله وبحواسه الداخلية والخارجية؛ وذلك لإنتاج المعنى الجديد أو المفهوم في عقله، فبناء المعنى في العقل لا يقتصر علي البني اللغوية؛ وإنما يتعدها إلي شتى جوانب العقل البشري؛ فاللغة تشتغل بذات الأسس التي تشتغل بها الآليات الإدراكية في الملكات العقلية الأخرى[1].

(١) علم الدلالة الإدراكي، د. دلخوش جار الله حسين، مجلة الآداب، جامعة صلاح الدين، كلية اللغة العربية، العدد: ١١٠، ٢٠١٤، ص٥٢.

باستحضار هذا الفهم للعمليات اللغوية المختلفة بدأ اللغويون في دراسة العمليات العقلية التي تسبق عملية إنتاج اللغة مستلهمين النتائج التي توصلت إليها العلوم سالفة الذكر في توظيف ذلك لدراسة قضايا كثيرة في اللغة؛ فبرهنوا على أن الاستعارة والمجاز والفنون البلاغية برمتها حاضرة في مناحي التفكير الذهني وفي كل مجالات الحياة اليومية، وغير مقتصرة علي اللغة الأدبية، فتحول النظر إليها كظاهرة إدراكية مرتبطة بطرق عمل الذهن البشري في إنشاء الأنساق التصورية Conceptual Systems وتشفير بناه المعرفية. بناء علي ذلك يمكن معالجة الظواهر البلاغية واللغوية معالجة ذهنية إدراكية بمعزل عن التحليلات والمقولات التي تحصرها في آليات الصناعة اللغوية بالبحث في الاستراتيجيات الذهنية والتصور المعرفي[1].

هذا الأمر جعل اللغة في حقيقتها عملية عقلية تتفاعل في داخل العقل كله بناء علي معارف ومدخلات مختلفة تغذيه بالمادة التي تتفاعل داخله، فكل عملية لغوية هي عملية عقلية تستمد مادتها من مصادر لغوية وغير لغوية، ونتيجة لهذا التفاعل والانصهار ظهرت مصطلحات جديدة علي العلوم اللغوية، وعلماء قادمون من علوم شتى؛ كان لهم بالغ الأثر في فهم اللغة، فظهر مصطلح **(إدراك)** الذي يعني في أصله اللغوي البلوغ واللحاق بالشيء فهمه واستيعابه بدخوله إلى نطاق الذهن وإخضاعه للعمليات العقلية، ثم ظهر مصطلح **(علم الدلالة الإدراكي)** الذي لا يبعد عن هذا المفهوم اللغوي للإدراك، فهو يبحث في المجال المعرفي والتصوري للعقل البشري في تعامله مع العالم؛ وكيفية تفاعله مع المحيط الخارجي، والمدركات الموجودة فيه، ويركز علي "التمثيلات الذهنية" والصيرورات الإدراكية... إن النظرة الإدراكية إلى اللغة هي أنها جزء من المعرفة الموسوعية العامة، لذا يعد الإدراكيون اللغة ملكة ذهنية إدراكية؛ لأنها أداة لتنظيم المعلومات والخبرات ومعالجتها ونقلها وتمثيل الدلالة نواتها[2].

لقد دخل مفهوم الإدراك إلى العلوم اللغوية قادماً من علم النفس الإدراكي؛ فنرى آثار عمله في أكبر جانب من جوانب اللغة، وهو جانب الدلالة؛ مع ظهور علم الدلالة الإدراكي، فبدأ تحليل التمثيلات الذهنية؛ ومعرفة كيف يتم بناء المعنى في الذهن ؟ ماذا نعني بالإدراك ؟ وما دور العملية الإدراكية في فهم اللغة وإنتاجها واكتسابها ؟

لقد وُظِّف علمُ الدلالة الإدراكي (فهو ثمرة التقاء علم النفس الإدراكي مع علم الدلالة مع علم الأعصاب) في تحليل أنماط الصورة والمجازات المفهومية؛ لأن المفاهيم المجردة والمجازية، مثل (الكرم المروءة..) مرتبطة كليا بالتجارب المادية المحسوسة الأساسية والمتكررة المقترنة بها، فالفرد يبني تصوراً في ذهنه عن تلك المعاني المجردة عن طريق تجاربه الشخصية معها فتصبح التجارب البشرية والمعارف السابقة المادة الخام للبناء الإدراكي الذي يجسده دلالياً ومجازياً ضمن بيئة ورؤية خاصتين للعالم، مما يوضح كيفية فهم المعاني المجرد في الذهن، بأنها عبارة عن تجارب يعيشها الفرد أو يكتسبها من بيئته وتجارب الآخرين؛ تُخزن في الذهن في شكل معارف يمكن استدعاؤها عند المرور بتجارب مماثلة، فيصبح لدى الفرد دلالته الخاصة التي كوَّنها من تجاربه في بيئته ورؤيته.

---

(١) المرجع السابق، ٥١.
(٢) المرجع السابق، ٥٥.

٢.٢ / الصلة بين المستويات اللغوية :

يرى الإدراكيون أن الفصل بين المستويات اللغوية يضر بالمفهوم العام للغة، فعلى سبيل المثال لا يمكن أن يستقل النحو عن الدلالة أو التداولية، ولا يمكن تفسير النماذج النحوية باستعمال النماذج النحوية المجردة، وإنما من خلال قصدية المتكلم ومراده من ذلك الكلام في سياق معين، وبهذا تهدف الدلالة الإدراكية إلى أن تعيد الدلالة إلى خضم النحو؛ ليكون النحو نحواً دلالياً لا شكلياً معيارياً، لرؤيتهم والاستعمالات المختلفة اللتين تحددان الدلالة المرادة التي تتنوع بتنوع هذه المواقف والاستعمالات وهذا ما دفعهم إلي ربط الدلالة بالتداولية والنحو، أي المزج بين جميع المستويات اللغوية[1].

إن العلاقة بين مستويات اللغة علاقة تكاملية، حيث يكمل كل مستوى عمل المستوى الذي قبله؛ حتى يتم عمل اللغة الأصلي، وهو تحقيق التواصل بين البشر، فيبدو النحو ليس كعلم معياري يبحث في قضية الصواب والخطأ اللغويين - كما حصره القدماء في هذا الإطار - ليصبح وحدة تعمل في منظومة كبرى هي اللغة التي يتواصل بها الأفراد، هدفها ونجاحها في هدفها هو تحقيق مقصد المتكلم ومراده من كلامه، فالكلام الذي لا يحمل دلالة ولا يقوم النحو فيه بتحقيق هذا المقصد لا يدخل ضمن علوم اللغة، وهنا يبدو الرابط واضحاً بين النحو والدلالة، والتداولية التي تحقق أيضاً التواصل بين البشر باستخدام اللغة، فكانت التداولية هي علم التواصل باستخدام المعارف اللغوية وغير اللغوية لهذا السبب، وكان للعلوم العصبية دور أساسي في ربط تلك العناصر معاً؛ لأن كل علم من العلوم السابقة يقوم على عمليات عقلية كان العقل فيها الفاعل الأساسي والبوتقة التي تُصهر فيها.

من هذا المنطلق جاءت دراستنا للعلاقة بين المتضايفين في إطار فهم جديد لدور النحو في اللغة، حيث يحقق التواصل بين البشر؛ فيصبح المتضايفان - كمركب اسمي - يسعى لتحقيق التواصل بين المتكلمين فيحمل الدلالتين معا؛ دلالة الكلمة الأولى ودلالة الكلمة الثانية ليكوِّن منهما دلالة ثالثة، كمنتج لهذا المركب الاسمي فهو القالب اللغوي الذي تُصبُّ فيها دلالتان لينتج بذلك دلالة ثالثة، إنها عملية صهر عقلية تمت في بوتقة هي عقل المتكلم، ومن هنا نرى التلاحم بين علم النحو وعلم الدلالة وعلم الإدراك والتداولية؛ لصناعة هذا المنتج الجديد (المتضايفين)، وتعد هذه العملية عملية إبداعية؛ لأنها انتهت بخلق وإبداع منتج جديد جمع في داخله دلالتين لإنتاج دلالة ثالثة منهما، لذلك فهي عملية إبداعية وخلق تحتاج في دراستها وتحليلها إلى جهود علم النفس الذي يفسر كيف تمت عملية الخلق والإبداع في عقل المتكلم ؟

٣.٢ / أسس علم الدلالة الإدراكي:

وضع الإدراكيين المبادئ والأسس لنظريتهم عن علم الدلالة الإدراكي التي تتضح في:

١- إن صناعة المعنى تستدعى معرفة موسوعية لغوية وغير لغوية، فالتصميم العام للغة لا يكون في جهاز معين داخل عقل البشر، يُمَكِّنَهم من القدرة علي اكتساب اللغة بل ينطلق من العملية الإدراكية المتجذرة في داخل العقل البشري التي يدرك بها اللغة وغيرها من موجودات مجتمعه، وبيئته الظاهرة والخفية، فأصل الملكة اللغوية لديه هي ملكة إدراكية، متجذرة فيه قبل أن يولد، كغيرها من الملكات التي تسير حياته، وهي أصل الإبداع عنده.

---

(١) علم الدلالة الإدراكي،٥٧.

٢ـ إن شرح المعنى والصياغة الدلالية للمكونات اللغوية تتعدى حدود الدلالة، فلا حواجز بين الدلالة والتداولية؛ لمرونة المعنى وديناميكيته حيث يرتبط المعنى بالمواقف الخارجية والظروف الحياتية اليومية ولقدرته على تشكيل العالم الخارجي، فالمعنى اللغوي نتاج تكامل مع التجربة والخبرات الأخرى، هذا الأمر فرض علينا ضرورة إدخال عناصر غير لغوية في تحليلنا للمكون الدلالي؛ مما أدخله إدراكُه الخارجي للعالم إلى مصنع المعنى (ذهن المتكلم)، لذا يجب أن نتجاوز حدود الدلالة اللغوية والمعجمية عند شرحنا للمعنى.

٣ـ أغلب الأساليب البلاغية عبارة عن استراتيجيات وآليات وميكانزمات ذهنية؛ يدرك بها الإنسان معنى الأشياء من حوله، إذ إن العقل البشري قاصر عن إدراك المفاهيم المجردة، لذا يلجأ إلى المجاز لتقريب المفاهيم المجردة من المدركات الحسية، بهذا لا ينحصر المجاز في كونه أسلوباً جمالياً أدبياً لغوياً، فهو أوسع من ذلك؛ أي هو عملية ذهنية إدراكية بحتة، إن منظومتنا الذهنية الأساسية هي في الأساس ذات طبيعة استعارية[١]؛ فالتفاعل بين تلك الصور البلاغية يتم في الذهن وعبر عمليات عقلية معقدة يجب أن ندخلها في الاعتبار.

٤ـ قواعد اللغة هي بحد ذاتها عملية تنظيم إدراكي للمفاهيم من دونها تصبح المفاهيم مشتتة ويصعب إدراكها، فمثلاً القواعد التركيبية (النحوية) ليست أنظمة لغوية فحسب؛ بل هي منظومة ذهنية، ومن هنا يرى الإدراكيين أنه لا فرق بين اللغة الحقيقية واللغة المجازية؛ لأن كلتيهما وسائل للتعبير عن الإدراك العقلي[٢].

فعمل القواعد النحوية ينطلق من فهمنا للقول الذي يقال لذا قالوا الإعراب وليد المعنى، فمن فهم معنى العبارة جيداً أمكنهم إعرابها، فالقواعد النحوية ينظم الذهن بها دور الأفراد داخل الجملة ببيان الفاعل من المفعول ووضع علامات تميز كل منهما عن الآخر، فهي في الأصل قواعد تنظيمية لأفعال حقيقية أو مجازية أجازها مستخدمو اللغة.

في إطار الفهم السابق لدور الذهن في عملية إنتاج اللغة يمكننا أن نرى دوره في عملية الخلق والإبداع في إنشاء مركبات اسمية كالمتضايفين يمكن أن نسمي بها الأشياء والأفراد.

٤.٢ / كيف نصنع دلالة جديدة (الإبداع)؟ من الذهن إلى النطق (تصور ذهني ـ >> لفظ مسموع)

يتكلم الإنسان بلغته الأم بطلاقة ليلَ نهار دون أن يدري أو يفكر كيف تمت تلك العمليات الذهنية التي أنتجت عدداً لا نهائياً من الكلمات والعبارات والجمل ؟ حتى جاءت تلك العلوم التي نشرع في دراستها لتحاول تفسير ذلك العمل؛ إننا حين نتكلم أو نكتب فإننا نشفر مضامين تصورية في توال منظم لوحدات لغوية... وفي عملية إنتاج اللغة يحوَّل المضمون المقصود لمنطوق إلى لغة[٣]، إننا نحاول استخراج ما في عقولنا من أفكار تحمل مضامين وتصورات، فنحولها إلى لغة منطوقة؛ لننقلها إلى غيرنا من خلال وحدات لغوية تحقق التواصل.

هذا العمل يمر بمراحل تشمل المستويات الآتية للعملية:

١ـ مرحلة التشُّكل التصوري: حيث توجد داخل العقل عملية إنشاء تمثيل إدراكي للمضمون المقصود النطق به، فأنا أحمل في عقلي فكرة أحاول أن أنقلها لك فأحددها في عقلي أولاً، هنا تختار المعلومات التي يريد المتكلم أن يبلغها لسامع بقصد معين[٤] للتواصل معه بها.

---

(١) الاستعارة مقاربة إدراكية، منتديات ستار تايمز، أرشيف اللغات واللهجات، شبكة الانترنت، ص١.
(٢) علم الدلالة الإدراكي، ٦٠.
(٣) مدخل إلي علم اللغة الإدراكي، مونيكا شفارتس، تر/ د. سعيد البحيري، زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠١٥، ص١٧٥.
(٤) المرجع السابق، ١٧٥.

٢. مرحلة التشكل المعجمي: يتضمن اختيار الوحدات المعجمية وتنشيطها التي ينبغي أن تعبر عن المضامين التصورية، أي الكلمات إلي لها قدرة على التعبير عن تلك المضامين.

٣. مرحلة الصياغة: حيث يتم الصياغة اللغوية مع مراقبة داخلية علي تلك الصياغة، ليتم إنتاج البنية النحوية في شكل جمل صحيحة، فتُرتب الوحدات المختارة في بنيته اللغوية.

٤. مرحلة التشفير الفونولوجي: يتم تخصيص الوحدات المعجمية فونولوجيا (صوتيا) فيتم اختيار الأصوات التي سننطق بها ليقع النطق بعد ذلك؛ بإنتاج حركي للتمثيل اللغوي[١] فينطلق الجهاز النطقي بتحريك أعضائه المختلفة ليحدث التمثيل الصوتي للوحدات اللغوية.

١.٤.٢ / نظرية ذهنية في إنتاج اللغة :

لابد من وجود نظرية تفسر كل ما يصدر عنا من أصوات، وما يسبقها من عمليات عقلية لإنتاج اللغة، وكيف تنقل تمثيلات عقلية (تصورات ذهنية) إلى أبنية لغوية نتواصل بها ؟

هذا العمل يتم وفق:

أ ـ عمليات تخطيط: تتم بالذهن عملية تخطيط لإدراك الفكرة وتخطيط لكيفية النطق بها .

ب ـ عمليات تنشيط: يتم تنشيط ذاكرة الفرد لاستخراج الألفاظ المناسبة من خزانته الذهنية.

٢.٤.٢ / تحليل عملية إنتاج الكلام كأصوات لها معنى :

إننا عندما نتكلم ننتج أصواتاً وبينها سكتات يكوِّنان معاً معاني الكلام، تتمثل في:

أ ـ الوقفات: سكتات ترد عند حدود الجملة لبيان حدودها، تم تحليلها في عملية إنتاج اللغة لبيان دورها في تكوين المعنى وذلك لارتباطها بالتعقد النحوي، فكان كثرة الوقفات يتبع التعقد التصوري للمنطوق؛ لأن الوقفات لا تقوم ببيان حدود الجملة فحسب؛ بل تقوم بعملية الفصل بين المعاني التي يمكن أن تتداخل لو لم نتوقف عند نهاية الجملة، فترتبها وتنظمها.

ويمكن بيان قيمة الوقفات بدقة في الكلام بإدخال جوانب اجتماعية اتصالية في تحليلنا، فالاتصالية هي عناصر تداولية، والاجتماعية عناصر تتصل بالمجتمع كالأعراف والثقافة .

ب ـ عناصر التأجيل: (مثل hm, وäh) ترد عند حدود الجملة، يستعين بها المتكلم لربط جمله وإجراء عمليات التذكر أثناء الكلام؛ ومطالبة المتكلم بمتابعة كلامه، وقد أطلق عليها ابن جني اسم هاء التذكر، فهي صوت الهاء الذي يصدره الفرد أثناء كلامه المتصل ليتذكر شيئاً ما كان قد نسيه أثناء عملية الكلام .

ج ـ الجملة: تعد وحدة تخطيط أساسية؛ يصنعها المتكلم ليصب فيها أفكاره كاملة.

د ـ المعلومة الزائدة: عندما نتكلم لا نخطط على المستوى التصوري لمنطوقاتنا بشكل تام قبل أن نصوغها وننطقها، بل نبدأ بالنطق دون أن يُمثل المنطوق تصورياً بشكل تام، وبينما ما نزال عند التخطيط التصوري، فإن استمرار الاستيعاب للوحدات التصورية الأولى يقع في المستويات اللاحقة، هذه العملية تفسر كيف نجد أحياناً معلومات غير مناسبة أو زائدة في منطوقاتنا التلقائية[٢] فيسبق نطقُنا تصورَنا، وعملية تخطيطنا التصوري لنستوعبه.

---

(١) المرجع السابق، ١٧٥.

(٢) مدخل إلى علم اللغة الإدراكي:، ١٧٧.

نموذج هرمان لإنتاج اللغة:

عرض هرمان تصوراً لعملية إنتاج اللغة وما تمر به من مراحل تصورية ودلالية، لقد فرق بين الأساس القضوي (pB) لمنطوق ما، والمدخل الدلالي (SI) للتشفير اللغوي لهذا المنطوق، ومع الأساس القضوي يتعلق الأمر بأجزاء معرفية محققة تعبر عما يقصد المتكلم حين يتكلم، والأساس القضوي ليس له طبيعة لغوية بل تصورية، بهذا المعنى يمكن أن يكون لمنطوقات في لغات مختلفة الأساس القضوي ذاته، ومن مجموع ما يقصد يختار المُدخل الدلالي لعمليات التشفير اللغوية[1].

إن رأي هرمان في عملية إنتاج اللغة جعل للأساس القضوي أي التصوري الفضل في عملية إنتاج اللغة، فهو يقوم على عملية إدراك لما حولنا من أشياء ومعارف، ثم تصورها، ومحاولة المتكلم التعبير عنها، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة تكوين الدلالة، لهذا فإننا نجد الأساس القضوي التصوري مشترك بين كل البشر، فيتصورن الأشياء التي حولهم بصورة واحدة للشيء الواحد، ثم تتكون الدلالة بناء علي ذلك الأساس، ثم يشفرونها لغويا حسب لغتهم.

ويكون اختيار الفرد للمدخل الدلالي للتعبير عن الشيء الذي يتصوره قائماً على أساس الجزء بدلاً من الكل، فيكون المدخل الدلالي جزاءً مختاراً من ذلك التصور الذي يتصوره للشيء (الأساس القضوي) فيقول المتكلم شيئاً عمَّا يقصده، لأنه يفترض أن السامع يمكن أن يعيد بناء المقصود (التصور القضوي) بناءً علي المنطوق؛ بإضافة معرفته العامة، فيختار المتكلم المدخل الدلالي (أي الكلمة التي سيعبر بها عن الشيء) بدقة، لأنه يعتبر هذه الكلمة من سيقوم بتبليغ ما يريده لسامعه، وهي أداته لمهمته فلا بد أن تحمل فكره كاملاً.

ويمكن تحقيق هذا المدخل الدلالي (أي الوصول للتعبير عن المعنى المقصود) من خلال منطوقات مختلفة يختار منها المتكلم ما يراه مناسباً لهذه العملية التبليغية، فيكون السؤال أي مدخل دلالي يختاره المتكلم للتعبير عن مقصوده ؟ إن هذا الأمر تتدخل فيه جوانب موقفية واتصالية؛ تفرض على المتكلم اختيار مداخل دلالية معينة ترتبط بالمكون العقلي لإنتاج اللغة الذي يسبق عملية التشفير اللغوي زمنياً ووظيفياً، فالمكون العقلي للمتكلم يقوم بدوره بتحديد المعنى المطلوب التعبير عنه؛ كمدخل دلالي أولاً بناء على عملية قضوية يتصور فيها المعني ثم يأتي اختياره للمنطوق، فهي عملية تسبق عملية التشفير اللغوي في الوظيفة، وتتم في زمن يسبق زمن اختيار المنطوق، إن هذا الأمر يصور الأساس الدلالي التصوري للإنتاج اللغوي والعوامل غير اللغوية التي تؤثر فيه.

يأتي دور الإحالة بوصفها استراتيجية إنتاج متعلقة بالشريك والموقف، فاختيار المدخل الدلالي المناسب للتعبير عن الشيء يدخل ضمنه مكون آخر هو عملية الإحالة علي أشياء لتوضيحها؛ يقوم بها المتكلم لينقل رأيه للسامع (الشريك معه في هذا الحوار) بدقة، كذا الموقف الذي يحدث فيه هذا الحوار اللغوي، فيفسر هذا لماذا تأتي في كلام المتكلم كلمات زائدة (الخاصية الإضافية لإنتاج اللغة) ؟ تقول مونيكا: ثمة منطوقات تُظهر غالباً درجة عالية من الإطناب عند تسمية الشيء، هكذا يذكر متكلمون غالباً معلومات أكثر مما يحتاج السامع إلى تحديد/ أو تعيين موضوع الإحالة، وتبعاً لذلك ينطق متكلمون ابتداءً ما يمتلكون من ناحية إدراكية حسية أو عقلية أولاً [2].

---

(١) المرجع السابق، ١٨٤.

(٢) مدخل إلى علم اللغة الإدراكي، ١٨٤.

إن الإطناب عملية وصف لما يدركه المتكلم من الشيء المحسوس أو العقلي، حتى لو لم يكن هذا الوصف مطلوباً عند تسميته للشيء، فالمتكلمون يسمون غالباً ابتداءً لون شيء هدف، حين يمكن أن يصيروا متأكدين بسرعة للغاية برغم أنه ليست له وظيفة مميزة سياقياً، وتعرض مونيكا شفاريس رسماً يصور عملية إنتاج اللغة بمكوناتها ومراحلها:

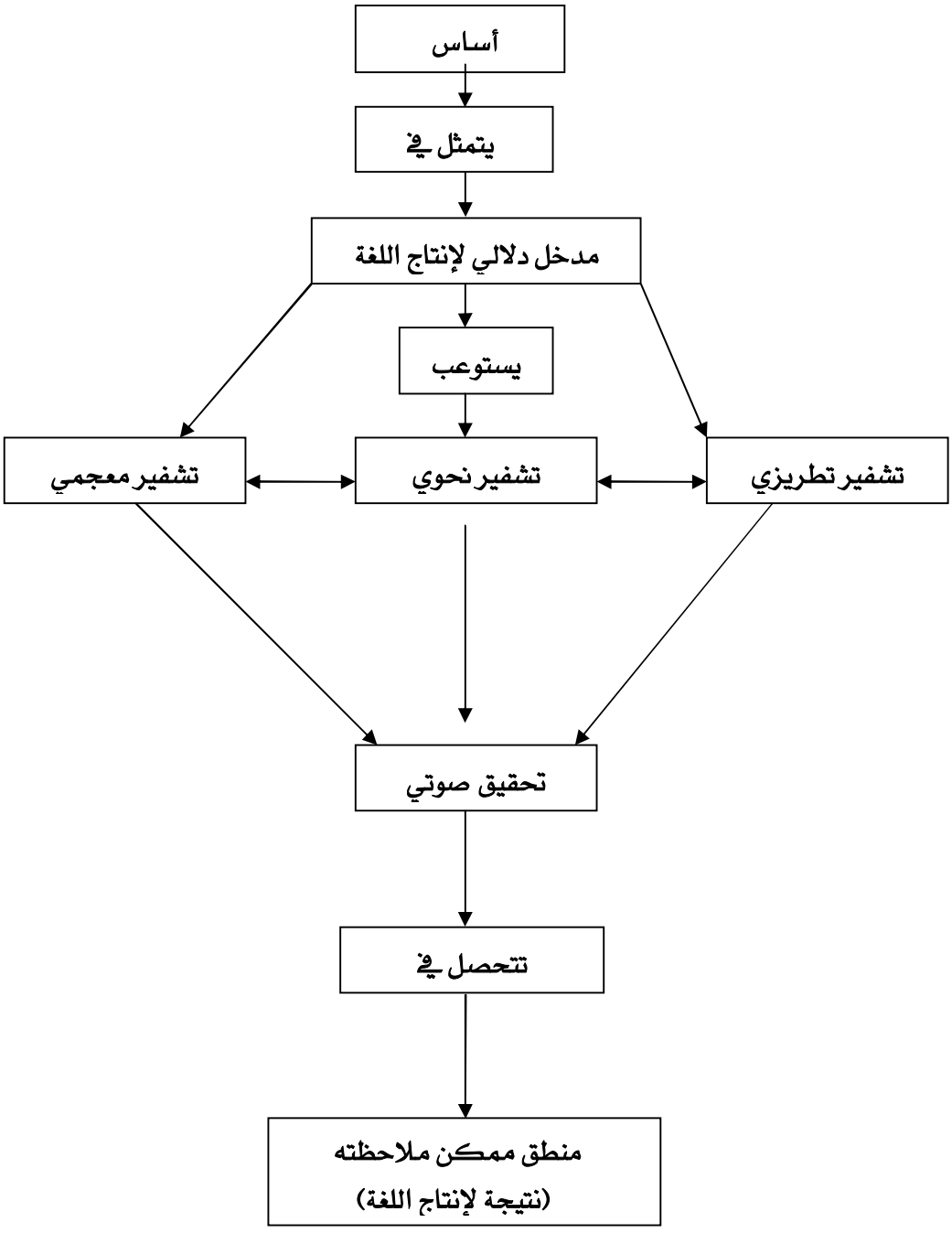

٥.٢ / تسمية المتضايفين[1]:

يمكننا الاستعانة بمعطيات علم اللغة الإدراكي لمعرفة العمليات العقلية التي تصاحب عملية تسمية الأشياء عامة كعملية عقلية إبداعية، التي نراها هنا بوضوح من خلال باب الإضافة، فنرى عند

(١) مدخل إلى علم اللغة الإدراكي، ١٨٤.

التطبيق كيف تتم عملية تسمية المتضايفين كعملية عقلية إبداعية ؟ وكيف يعمل العقل البشري بكل قدراته اللغوية الإدراكية على إنتاج مركب اسمي جديد بالجمع بين كلمتين قد تكونان متنافرتين، ويبدع في ذلك العمل ؟

٢.٥.١ / الإحالة على أشياء في سياق الموقف الكلامي:

إننا كي ندرك الأشياء ونتفاعل معها نستعين بأشياء أخرى يحيلنا الذهن إليها، قد تكون لغوية أو غير لغوية، فظاهرة الإحالة تتعلق بشكل وثيق بالعملية الإدراكية لإدراك الشيء، فبواسطة ألفاظ اللغة وأشياء بيئتنا وعالمنا غير اللغوي التي نستند إليهم يمكننا أن نحيل عليهم، فتبدو صورة إدراك الشيء محصلة عمليات معقدة لمعرفة النموذج المطلوب إدراكه، لهذا فإدراك الشيء هو تحديد لأبعاده كمُثِير أثار مداركنا نحوه كنموذج لذات معينة نحاول أن ندركها، نحو "كتاب" تتكون من: ك. ت. ا. ب، كي ندرك الوجود الفعلي لهذه الحروف؛ لا بد أن نربط بينها كصورة للمثير الفعلي (كتاب) وصورته الممثلة بالعقل[1]، إنها عملية معقدة لإدراك عالمنا من حولنا يقوم فيها المرء بعمليات إحالة بألفاظ لغوية، وبأشياء غير لغوية من خلال نظام الإدراك الإنساني الذي يعد الأساس في عملية إنتاج اللغة بناءً على عملياته الإدراكية.

٢.٥.٢ / دور الإحالة في تسمية الأشياء:

عند إطلاق اسم جديد على الأشياء تقوم عمليات عقلية بإتمام ذلك فيُحدد اختيار المتكلم الكلمة بنوعين من الشروط الأساسية:

١. **شروط موقفية:** تشتمل على سياق الشيء أي المحيط الممكن إدراكه للمحال إليه المقصود في كلٍّ، والسمات الاجتماعية/ الاتصالية لموقف الإحالة الذي يُوصف من خلال البعد الاجتماعي بين المتواصلين، وكذلك روتينية الموقف الكلامي.

٢. **شروط مميزة للأشخاص:** تختص بقدرة المتكلم على إمكان إدراك أشياء وإمكان تمثيلها في مخططات إدراكية.

٢.٥.٣ / مراحل تسمية الشيء:

هذه العملية تفيدنا كثيراً في دراسة كيفية تسمية الاسمين المتضايفين؛ فنعرف كيف يقوم الإنسان باختيار أسماء للأشياء الجديدة التي تظهر في عالمه فيستعين بألفاظ اللغة، ليختار منها ما يصلح كمركب اسمي يجمع بين اسمين، من خلال دراسة العمليات العقلية المتتالية والمترابطة معاً، والتي تسبق هذا الاختيار، وتعد تسمية الشيء نتيجة عملية فصل إدراكية؛ فيفصل المتكلم بين سمات الأشياء عن طريق إدراكه لها فيختار منها ما يصلح اسما لها.

إن هذه العملية تمر بعدة مراحل نطلق عليها اسم" مراحل تسمية الشيء" هي مرحلة:

أ ـ يختار المتكلم ابتداءً سمة للشيء المقصود، التي بالنظر إليها يفترق الشيء الهدف عن سياق الشيء (أي الكم البديل للشيء) بعضه عن بعض، وفي ذلك تختص سمات بالأبعاد (مثلاً الحجم أو اللون أو الشكل) فتحتل فيها الأشياء مواقع (مثلاً الكرة الصغيرة الحمراء)، يختار السمة المميزة للشيء الذي نريد أن يسميه التي تعطيه بروزاً عن غيره؛ فتظهر أبعاده كمحددات مميزة له عن أقرانه (كاللون والحجم والشكل) كما في العبارة السابقة.

---

(١) مدخل إلى علم اللغة الإدراكي، بتصرف، ١٧٧.

ب ـ تحول هذه الأبعاد كمعلومات إدراكية حسية إلى لغة عند إطلاق اسم الشيء عليه، لتمكن السامع من إدراك مقصد المتكلم، نحو: الكرة الصغيرة الحمراء = شكل ـ حجم ـ لون، فالمتكلم يختار حسب مبدأ التحول اللغوي المتعلق بالشريك تلك التي تبدو له مناسبة للشريك[1]، أي يختار من اللغة التي يحيل إليها عند التسمية الكلمات المفهومة لدى السامع.

ج ـ ينشط المتكلم ابتداءً أجزاء من معرفته المختزنة في ذاكرة الزمن الطويل، وتكون معرفة العالم العامة الأساس لأن يستطيع المتكلم أن يحقق بوجه عام مقصداً اتصاليا؛ حيث يمكنه أن ينقل فكره من خلال تلك التسمية عن هذا الشيء إلى سامعه مستعيناً بكل ما سبق.

د ـ لاحظ هرمان: أن استعمال ألفاظ إحالية عند تسمية الشيء في ضوء جانب مرونة التسمية لمتكلمين أنه ليس لكل شيء اسم فقط؛ بل يمكن أن يُسمى بألفاظ لغوية كثيرة، فالكلب نفسه يمكن مثلاً حسب مقصد المتكلم أن يسمى كليباً أو كلباً قصير القوائم أو كلباً ضالاً [2]، ويأتي هذا التعدد في اسم الشيء من تعدد السمات المميزة له وعلاقته بالوسط المحيط، وكذلك تعدد عقول المتكلمين المبدعين وطريقة إدراكهم للحيوان وعلاقتهم به، فيصبح الاسم معبراً عن كل تلك الأشياء، كما سنرى في الإضافي.

٢.٥.٤ / المعجم العقلي ودوره في عملية التسمية:

عند تسمية الشيء يجب دراسة المعجم العقلي داخل المتكلمين، لأنه الذي يمدهم بالألفاظ المناسبة للتسمية من خلال عملية تنشيط وتنظيم وفصل معجمية يقوم بها المعجم العقلي، لذا يعد المعجم العقلي الخازنة التي يأخذ المتكلم مُدخلا إليها دائماً قبل أن يتكلم أو في أثناء ذلك، وحسب الفرضية المعجمية يكون المعجم وسيطاً بين تشكُّل تصوري وتشفير نحوي أو فونولوجي، وبذلك تحدد عمليات الصياغة معجمياً في عملية إنتاج اللغة، وحتى يمكن تفسير عملية إنتاج اللغة؛ يجب لذلك أن تراعى فروض بنية المعجم العقلي وتنظيمه، وتعد العلاقة بين تنظيم هذه الخازنة وعمليات التنشيط اللغوية ذات أهمية لعلم اللغة الإدراكي[3].

٢.٦ / الإبداع الدلالي في المتضايفين

مع المرحلة السابقة (المعجم العقلي) يتجه المتكلم إلى معجمه الذهني ليختار منه الألفاظ المناسبة ليعبر بها عن الأساس القضوي لما يتصوره في ذهنه أو عَنَّ له من صور وأفكار، في هذه اللحظة نجد المتكلمين يتفاوتون في اختيارهم للألفاظ التي تعبر بدقة عن فكرهم، لهذا نجدهم يبدعون في اختيارهم؛ ليعبروا من خلال لفظين متضايفين عن معان جديدة، وتدخل في ذلك عمليات عقلية يصبح العقل هو المبدع، لهذا يجب دراسة الإبداع والمبدع.

٢.٦.١ / الإبداع:

الإبداع (الابتكارcreativty): هو القدرة علي اكتشاف علاقات جديدة أو حلول أصيلة تتسم بالجدة والمرونة ويسمى الإبداع، وخيال إبداعي (creative imagination) توارد حر للصور الذهنية والأفكار، أو نمط جديد لها يفيد في حل مشكلة ما[4]، لقد أوضح هذا التعريف جانباً هاماً في عملية الإبداع وهو ابتكار حلول واكتشاف روابط جديدة وعلاقات بين الأشياء، فهو خلق لتصورات جديدة لم تكن موجودة من قبل في ذهن المتكلم.، ولا المبدع حتى يبدعها.

---

(١) المرجع السابق، بتصرف، ١٨٣.
(٢) مدخل إلى علم اللغة الإدراكي، ١٨٣.
(٣) مدخل إلى علم اللغة الإدراكي، ١٨٦.
(٤) معجم النفس والتربية، ج١، ص٣٧، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٨٤ .

ويقول د. حنورة: إن عملية الإبداع هي نشاط نفسي، والنشاط النفسي هو مجموعة من الظواهر السلوكية التي تصدر عن الفرد كرد فعل واستجابات علي منبهات تصدر إليه من البيئة (سواء كانت داخلية أو خارجية)، النشاط النفسي إذن مجموعة الاستجابات، قد تكون استجابات حركية أو ذهنية أو لغوية[1]، هذا يعني أن هناك مثير واستجابة تنطلق من داخل الفرد أو خارجه كنشاط نفسي يعبر عن استجابته لمثير حركي أو ذهني أو لغوي.

الإبداعية: creative: قدرة على إنتاج فكرة إفصاحية بشكل ملحوظ أو على إنجاز إنتاج (... نص أدبي أو علمي ...) يكون مجدداً وغير متوقع يتلاءم مع الوضع ويعتبر ذا قيمة[2].

٢.٦.٢ / كيف تتم العملية الإبداعية ؟

يكمن الطابع التجديدي في العملية الإبداعية ذاتها، أي أن عملية الإبداع في حقيقتها هي عملية تجديد؛ ذلك لأنها خلق جديد علي غير نموذج ، ويمكن تحليل هذه العملية في أطر شتى:

أ ـ عوالم صغري مبنية اصطناعياً: بحيث تتيح مرونة في الأفعال وتحكماً في الإجابات الممكنة، أي بروز مفاهيم جديدة تتم بانزياحات مفهومية[3]، فالإبداع يبدأ بظهور عوالم صغيرة لدى المبدع تأتيه في شكل مفاهيم جديدة تصل إلى ذهنه؛ فتزيح مفاهيمه القديمة.

ب ـ عمليات معرفية توليدية: تنطلق من ظروف متخيلة وتصل إلى نشاطات في التصميم تمكن من دراسة الإبداعية المتعلقة بالخبرة في مجال معين[4]، هذا يعني إن العمليات المعرفية التي يكتسب من خلالها الفرد مهارة أو خبرة هي ذات طبيعة توليدية، أي لديها قدرة علي النمو والتوليد من خلال الخبرات المكتسبة في إطار ظروف معينة لدى المبدع.

ج ـ الإبداعية: تعتبر قدرة متعددة الأبعاد بالإضافة إلى الجوانب المعرفية.

٣.٦.٢ / المبدع :

وصف الإبداعية أحياناً بأنها خاصة ببعض الأشخاص، وأنها ناجمة عن عمليات فكرية اعتيادية في ظروف حل المشاكل اليومية، الفكرة الأكثر شيوعاً تقول: إن الكائنات البشرية قادرة كلها على طرح أفكار إبداعية حتى ولو كان البعض أكثر إبداعاً من غيرهم[5].

هذا القول الأخير يبين أن كل إنسان قادر على الإبداع؛ كلٌ في مجال عمله؛ ولو كان بائعاً في السوق فإنه قادر على أن يبدع عبارات لم نسمع بها من قبل؛ يشهر بها عن سلعته، تصدر منه بصورة عفوية غير متوقعة، تلك الصفة الأخيرة هي لب عملية الإبداع (غير متوقعة)، يقتضي التكلم عن الإنتاج الإبداعي أن تحظى المنظومة المعلوماتية بنوع من الاستقلالية وأن تكون النتيجة التي يفضي إليها ليست تجديدية فقط وذات قيمة، بل غير متوقعة أيضاً[6]، وهنا يكون الإبداع بأن يفاجئ المبدع سامعه بأشياء جديدة لم يتوقعها منه.

٧. اللغويات العصبية:

يعرف قاموس حديث (هانك Hank 1986) اللغويات ـ العصبية على أنه: فرع من اللغويات يتعامل مع ترميز المقدرة اللغوية في الدماغ، ويكون التركيز الأساسي فيه على دراسة اللغة بعد أن يصاب الدماغ

---

(١) الأسس النفسية للإبداع الفني في الرواية، د. مصري حنورة، الهيئة المصرية للكتاب، ط١، القاهرة، ١٩٧٩، ص١٣.
(٢) قاموس العلوم المعرفية، غي تيبرغيان وآخرون، تر/ جمال شحيد، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١٣، ص١٦٥.
(٣) المرجع السابق، ١٦٥.
(٤) المرجع السابق، ١٦٥.
(٥) المرجع السابق، ١٦٦.
(٦) قاموس العلوم المعرفية :١٦٧.

بعطب، فإنه من السهل الآن دراسة بعض جوانب الوظيفة اللغوية في الأدمغة السليمة، ويحاول علم الأعصاب دراسة كيفية ربط الوظيفة العصبية بالسلوك من خلال إثارة الأدمغة اللا بشرية أو القيام ببعض الضرر المسيطر عليه تماماً عليها. وفي الواقع فإن إحدى اهتمامات اللغويين العصبيين تتمثل في تبرير استنتاجاتهم من سلوك الناس معطوبي الدماغ، وتعميمها علي الناس الذين لا يعانون من أي خلل دماغي، وبذلك يمكن استخدام دليل من علم الأمراض والقيام بعمليات حول كيفية ترميز اللغة في الدماغ نفسه[1].

إننا أمام علم جديد هو علم الأعصاب اللغوي الذي يتناول بالدراسة كل العمليات التي تتم في العقل لصالح اللغة ودراسة المقدرة اللغوية، وهناك دراسات تناولت بناء الجهاز العصبي وما يحدث فيه من عمليات فهم وتفسير وتشفير للغة، لكنني أكتفي هنا بتناول جانباً من هذا الجهاز العصبي؛ هو الناقلات العصبية ودورها في عملية فهم وإفهام الرسائل اللغوية بين المتكلم والسامع فقط، ثم أبين دورها في اختيار الألفاظ اللغوية المناسبة للحدث الذي يتم فيه تسمية الشيء بمركب إضافي.

١.٧ / الناقلات العصبية:

١.١.٧ / تعريف الناقلات العصبية:

هي عبارة عن مواد كيميائية موجودة في منطقة ارتباط خلية عصبية بخلية عصبية أخرى، وتنظم هذه المواد الإشارة العصبية القادمة من الدماغ أو متجهة إلي الدماغ، وتتكون هذه المواد الكيميائية في منطقة تدعى ما قبل منطقة التشابك بين خليتين، وتقوم بإرسال الإيعازات إلى منطقة ما بعد التشابك بين الخليتين، وعندما يصل إيعاز معين من الدماغ إلى نهاية خلية عصبية يتحفز الآلاف من ناقلات الإرسال العصبية لتقوم بنقل الإيعاز إلى منطقة ما بعد التشابك مع الخلية العصبية المجاورة، حيث تقوم بالاتحاد مع مستقبلات موجودة في الخلية العصبية المجاورة وبعد انتهاء مهمة التحفيز، أو منع التحفيز التي قامت بها أي من ناقلات الإرسال العصبية تقوم أنزيمات معينة بالتخلص من ناقلات الإرسال، فيتم إرجاعها إلى مكانها الأصلي في منطقة ما قبل التشابك مع الخلية العصبية المجاورة كي لا تستمر في الإيعاز"[2].

٢.١.٧ / وظائف الناقلات العصبية:

لكل ناقلة إرسال عصبية وظيفة خاصة تقوم بها؛ يتم عن طريقها نقل الرسالة الإدراكية إلى العقل الذي يحل شفرتها ويفهمها ويتفاعل معها، لذا تختص كل مادة كيميائية بنقل إدراك معين خاص بمعلومة ما إلى العقل وتحفيزه ليشعر بها ويُفَعِّلُها، فعلى سبيل المثال:

١. استيل كولين: تقوم بتحفيز العضلات الإرادية على التقلص.
٢. السيروتونين: تقوم بمهمة شعور الإنسان بالطمأنينة النفسية.
٣. الدوبامين: تقوم السيطرة على تناسق حركة الإنسان.
٤. الإدرينالين: تقوم بتحفيز الجهاز العصبي الودي وتهيأ الجسم لمواجهة الخطر الخارجي.
٥. حامض كاما امينوبيوتيريك: يقوم بمنع تحفيز الخلايا العصبية.
٦. حامض الكلوتاميك: يقوم بتحفيز التعلم وتنشيط الذاكرة.
٧. الكلايسين: تقوم بمنع تحفيز الخلايا العصبية.

---

(١) اللغويات العصبية، روث ليسر، ص٥٤٨، موقع بشبكة الإنترنت www.pdffactory.com.
(٢) الناقلات العصبية، Salah Hamouda، شبكة الانترنت.

٨. الميلاتونين: يقوم بتنظيم النوم وفاعليات أخرى[١].

هذا البيان السابق لوظائف الناقلات العصبية ضروري لفهم عمليات الإدراك التي تتم في العقل وتحديد نوعها بناءً علي الحامض الذي ينقلها، ويحمل شفرتها اللغوية التي تأتي مع تلك الرسالة العصبية من مراكز الإدراك الداخلية أو الخارجية، وبناءً على ذلك يتم بناء الأساس القضوي التصوري الصحيح لها؛ ثم الأساس الدلالي (تصور المعنى)، ثم اختيار الكلمة المناسبة من المعجم الذهني، ثم يأمر العضلات المتحركة لتصدر أصوات الكلمة.

٢.٧ / دراسة تطبيقية لكيفية تسمية المتضايفين في ضوء علم الدلالة الإدراكي :

يمكن من خلال معطيات علم الدلالة الإدراكي القيام بدراسة تطبيقية نرى فيها:

١. كيف تنشأ تسمية الأشياء ؟

٢ ـ ما العمليات العقلية المصاحبة لها ؟

٣ ـ ما المراحل التي تمر بها تلك حتى تنتج لنا اسماً جديداً غير متوقع لهذا الشيء ؟

٤ ـ ما العملية الإبداعية التي أنتجت لنا هذا الجديد ؟ وكيف تم ذلك ؟

نحاول أن نجيب على ذلك كله من خلال مركب اسمي واحد هو "المتضايفان" فعملية إطلاق اسم مركب على شيئين بغرض الجمع بينهما؛ لإنشاء معنى ثالث لم يُذكر مطلقاً في الشيئين في حالة عزل كل منهما، تعد عملية عقلية إبداعية جمع فيها المتكلم بين سمات الشيء الأول وسمات الشيء الثاني، وبحث فيهما عن سمات تجمع بينهما عن طريق فرز تلك السمات، وما يصاحب ذلك من عمليات عقلية دخلت فيها عناصر مختلفة من البيئة والإحالة والسمات الشخصية والنفسية للمتكلم والسامع تم مراعاتها عند إطلاق الاسم الجديد على الشيء ـ ذكرناها من قبل ـ ونذكر هنا مثالاً ونحلله ليوضح هذه العمليات العقلية.

مثال :

وقف أكرم محاوراً عمراً، وصف كل منهما أشياء بصفات وأطلق عليها أسماء، انطلقت الأسماء من بيئة واحدة يعرفانها كل منهما بكل مكوناتها وأحداث تاريخية مرت بهما.

فقال عمرو: هل قابلت **ابن عمك** ؟

قال أكرم : لا فهو من **أصدقاء الشيطان**.

فقال عمرو: لا هو ليس كذلك.

فقال أكرم : أتذكر **أم المعارك** التي كانت بيننا ؟

فقال عمرو: إنني أحب **أسد الله وسيف الله**؛ فهما بطلان جاهدا في **سبيل الله**.

فقال أكرم: أطلق **رسول الله** ﷺ الاسم الأول على عمه "حمزة"، والثاني على القائد العسكري العظيم "خالد بن الوليد".

قال عمرو: أتدري لماذا سماهما الرسول الكريم بهذا الاسم ؟ وما العمليات العقلية المصاحبة للتسمية في ذهنه ﷺ حتى يطلق عليهما هذين الاسمين ؟

تحليل الحوار:

لنحاول تحليل هذا الحوار والعلاقة الدلالية بين متضايفيه؛ في ضوء علم الدلالية الإدراكي: (أصدقاء الشيطان ـ ابن عمك ـ أم المعارك ـ أسد الله ـ سيف الله ـ سبيل الله ـ رسول الله).

---

(١) الناقلات العصبية، Salah Hamouda، شبكة الانترنت.

أصدقاء الشيطان:

أصدقاء: كلمة تجتمع فيها كل معاني النبل والأخلاق وتشع بسمات من هذا المجال الدلالي.

الشيطان: كلمة تحمل كل معاني السوء وكل ما يبغضه البشر، وتشع منها تلك السمات.

كل هذه السمات المتنافرة مخزنة في ذاكرة المتكلم؛ استحضرها من ذهنه لحظة الحوار.

المعني الإبداعي الجديد: أنه شرير؛ على الرغم من أنه لم ينطق لفظة شرير بل فُهم منها.

تحليل عملية الإبداع: قام ذهن المتكلم بعملية فرز للسمات الخاصة بكل لفظ منهما، وبناء صورة له في فضائه الذهني؛ ليبنى تصوراً واحداً للصفات المتنافرة، ثم جمع بينهما بعد الرجوع إلى معجمه الذهني لاختيار اللغة، وتحول التصور الذهني إلى تشفير لغوي، ليُنتج مركباً اسمياً، جاء في صورة متضايفين عن طريق عملية إبداعية لخلق هذا المركب، ثم إعطاء الأمر لأعضاء النطق من خلال الأعصاب الحركية، فتُحرك تلك الأعضاء مصدرةً سلسلة صوتية تمثل مجموع الأصوات المعبرة عن هذا المركب الجديد (أصدقاء الشيطان) الذي يسمى المضاف والمضاف إليه، كل هذا تم بسرعة البرق، ولا ندركه إلا بالتحليل. هذا التحليل يمكن قوله على سائر التراكيب الإضافية التي جاءت في الحوار السابق.

الإبداع: جاء في الحوار مركبات إضافية جديدة تنم عن إبداع كبير نحو: (أسد الله: حمزة عم النبي، سيف الله: خالد بن الوليد، سبيل الله) وكل رأس إضافة يشير إلى شيء مختلف: اسم حيوان، واسم آلة حادة، اسم مكان (السبيل بمعنى الطريق)؛ فهم يشيرون إلى سمات مختلفة تنتمي إلى خصائص حيوان والآلة وطريق، أُضيفوا إلى الذات الإلهية فاكتسبوا الجلال والعظمة والقوة من إضافتهم إلى اسم الله سبحانه وتعالى، ولكن هذا التركيب الإضافي يصح أن نطلقه على كل حيوان وكل آله وكل طريق فكل شيء ملك لله، لكن المتكلم يبدع بتوظيفهم في مجالات جديدة فيسمي بهما شيئاً ثالثاً ليس حيواناً ولا سيفاً ولا طريقاً؛ بل على إنسان اسمه حمزة بن عبد المطلب وإنسان اسمه خالد، وعلي نوع من الجهاد ليصف هذه الأشياء بصفات جديدة لم يذكرها في المركبين الإضافيين، وهي صفات العظمة والجلال.

فكيف تم ذلك ؟ لقد أبدع المتكلم من هذا المركب دلالات جديدة حين وظَّفه في مجال جديد وهو إطلاقه علي مجال آخر على أساس رابط استعاري، وهنا تبدو لنا قيمة الإبداع في خلق دلالة جديدة؛ وظف فيها مركباً لغوياً يشير في أصل معناه إلى حيوان (أسد) أو آلة (سيف) أو طريق؛ ليفاجئنا بإطلاقه على إنسان أو طريق.

وكان المبدع الأول لهذا التركيب وتوظيفه هو المبدع العظيم رسول الله ﷺ؛ فهو أول من أطلق عليهم هذا الاسم فجمع في ذهنه كل السمات الانتقائية المميزة لهذا الحيوان (الأسد) من القوة والشجاعة إلى جانب سماته الحيوانية الأخرى فاختار منها صفات تناسب الإنسان (القوة والشجاعة)، وجمع في ذهنه السمات الانتقائية لهذا الإنسان (حمزة) فاختار أبرزها في حمزة (القوة والشجاعة) فجمع بين السمات الانتقائية المتفقة وموجودة في الإنسان والحيوان معاً في المركب الإضافي (أسد الله) ليكون اسماً له، فإذا قلنا: أسد الله كان المعنيِّ به ومقصود المتكلم يتجه إلى إنسان اسمه الحقيقي (حمزة)، وكذا فعل في تسمية خالد بن الوليد، وفي سبيل الله التي تعني الجهاد من أجل الله.

أثر البيئة: لكي تتم عملية الإبداع لابد أن تحضر بيئة المتكلم في ذهنه؛ ليكون لها دورها في تكوين التصور داخل ذهن المتكلم، وتمثلت بيئته في اختياره كلمة: أسد وسيف وسبيل.

كيف تم ذلك في ضوء علم اللغة العصبي ؟

لقد أثار إدراك الرسول الكريم ﷺ ما رآه بعينه وسمعه بأذنه من بطولات لكل من خالد بن الوليد وعمه حمزة، فوصل إليه من خلال حاستي السمع والبصر ذلك الإدراك، فتم تحفيز ناقلات الإرسال العصبية فقامت بنقل الإيعاز من مصدر الإدراك الخارجي (الأذن . العين) إلى الخلايا العصبية المجاورة لتتحد مع المستقبلات الموجودة في الخلية العصبية المجاورة فتنتقل هذا الانفعال من خلية عصبية إلى أخرى، وتستمر عملية الانتقال من خلية عصبية إلى أخرى حتى تصل تلك الرسالة إلى الذهن حاملة معنى الشعور بالقوة والشجاعة والفخر، إلى داخل ذهن الرسول الكريم ﷺ؛ ذلك لأن في أصحابه من مثل حمزة وخالد.

فبدأ الأساس القضوي التصوري ببناء تصور في ذهن الرسول الكريم ﷺ وصل إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه مخلوق في القوة والشجاعة مستلهما بيئته وما فيها من مصدر قوة وشجاعة، فما وصل إلى عقله في هذه اللحظة بتأثير من بيئته ومعجمه العقلي وما في ذاكرته؛ هو صورة الأسد والسيف والسبيل، فالأول يمثل في العقل أعظم صورة للشجاعة فاختارها لتمثل معنى مجرد (الأسد = الشجاعة)، والثانية تمثل أعظم صورة للقوة فاختارها لتمثل معنى مجرد (القوة = السيف)، والثالثة تمثل أعظم صور الاستقامة والوضوح فاختار لها كلمة سبيل، ثم تحول الأمر من مجرد تصور ذهني في البنية التصورية إلى بناء دلالي وتم البحث لذلك التصور، وهذا المعنى عن لفظ يمثّله في معجمه الذهني؛ فاختار كلمة أسد وسيف وسبيل.

ثم بحث في عقله عن لفظ آخر يضيفه إلى المعنى السابق؛ ليعبر عن قمة المبالغة في هذا المعنى، فيضيف إلى القوة والشجاعة أقصى ما يصل إليه المتكلم في وصف إنسان ما بهذه الصفات، فلم يجد أعظم ولا أقوي من إسناد تلك الصفات المتمثلة في أشياء هي رموز القوة في ذهنه (أسد . سيف . سبيل) إلى مالكها ومالك كل قوة وشجاعة وهو الله سبحانه؛ فاختار من التراكيب النحوية ما يمثَّل ذلك، فلم تقنعه التراكيب الوصفية ولا غيرها، فاتجه إلى التركيب الإضافي، فالأصل في الإضافة الامتلاك فهي تعطى معنى الامتلاك للمضاف إليه فيصبح المضاف ملكاً له، فيكتسب من المضاف إليه الجلال والعظمة والقوة بإضافته إلى مالك القوة والشجاعة سبحانه وتعالي الذي لا حول ولا قوة إلا به، فأنتجت تلك العملية العقلية هذا التركيب الإضافي (أسد الله ـ سيف الله ـ سبيل الله) ليطلقه على رجلين من أقوى وأشجع الصحابة ـ رضوان الله عليهم جميعاً ـ وعلى الجهاد ابتغاء وجه الله، فانظر كيف صُنِع المعنى في عقله الشريف، وما العمليات التي تمت فيه حتى يصل إلى هذا التركيب الإضافي الذي قام على عملية استعارة ذهنية إبداعية.